الجزء الأول

تجديد التنمية البشرية لعصر الأنثروبوسين

يتضمن الجزء الأول ثلاثة فصول، تغطي، على التوالي، المنظورات التحليلية والتجريبية والسياسية بشأن كيفية ارتباط التنمية البشرية بمفهوم الأنثروبوسين، والمناقشات التي تدور حوله. ويتناول الجزء الثاني الآثار المترتبة على العمل، ويناقش ثلاث آليات رئيسية للتغيير: الأعراف الاجتماعية، والحوافز، والتنمية البشرية المستنبطة من الطبيعة. ويستكشف الجزء الثالث التداعيات على مقاييس التنمية البشرية.

ويحاجج الفصل ١ بأن مسيرة التنمية البشرية (إلى أين الوجهة) يجب أن تُرسم الآن، في زمن لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية وفي تاريخ كوكب الأرض، وأن نهج التنمية البشرية يفتح آفاقاً جديدة وتمكينية بشأن كيفية بلوغ هذه الوجهة. ويكمل الفصل ٢ تحليل الفصل ١، ويقدم أدلة مفصّلة على الاختلالات غير المسبوقة التي تلمّ بالكوكب والمجتمع وتفاعلاتها. وهو يبيِّن تجريبياً أننا نواجه حالة جديدة، وأن العالم الطبيعي في عصر الانثروبوسين هو انعكاس للاختلالات التي تلمّ بعالم الإنسان من حيث الفرص والثروات والقوى. ويحاجج الفصل ٣ أن العمل معاً على مسار الإنصاف والابتكار وحماية كوكب الأرض يمكن أن يوجه العمل نحو التحوّلات الجذرية المطلوبة للنهوض بالتنمية البشرية في الأنثروبوسين.

في جائحة كوفيد-١٩ عبرة لمن يعتبر. فعلى مدى عقود، كان العلماء يتنبأون بوقوع جائحة كهذه، مشيرين إلى ظهور أمراض جديدة تنتقل من الحيوانات إلى البشر[١]، ومن المُرجح أن يكون الفيروس الذي يسبب كوفيد-١٩ واحداً[٢]. والواقع أن انتقال المرض المتزايد من الحياة البرية إلى البشر هو انعكاس لضغوطنا المتمادية على الكوكب[٣].

هذه رواية عن مخاطر نواجهها ونحن نغوص في واقع جديد يُسمّى بالأنثروبوسين، عصر البشر. واقع يشهد تغيّراً بغير نطاق وحجم وسرعة، كما هو مبيّن في الفصل ٢، يدفعه النشاط البشري، فيشكّل مخاطر على البشر وجميع أشكال الحياة[٤]. ولكن المخاطر لا تقع على الجميع بالطريقة نفسها. وها جائحة كوفيد-١٩ تُطبِق على عالم تخترقه فوارق واسعة ومتزايدة في التنمية البشرية. وهي تدق عميقاً إسفيناً إضافياً بين القادرين وغير القادرين على التحمّل. وفي الوقت نفسه، لا تقع صدمات مثل كوفيد-١٩ حتماً من فراغ، بل من مسبّبات متجذرة في اختلال التفاعل بين البشر والكوكب. وهذه المسببات تغذي اختلال الموازين في الفرص والثروات والقوى بين الشعوب والبلدان.

وتستدعي مواجهة هذا الواقع الجديد الذي هو عبارة عن دوامة من الاختلالات المتآزرة التي تلمّ بالمجتمع والكوكب (التغيّر الذي يشهده الكوكب وخطره على البشر وجميع أشكال الحياة) إعادة تصور مسيرة التنمية البشرية) إلى أين الوجهة؟)[٥]. كما تستدعي تطبيق نهج التنمية البشرية على المناقشات الطويلة بشأن الاستدامة (كيف نريد بلوغ الوجهة؟).

فمسيرة التنمية البشرية، التي تُعنى بتوسيع إمكانات البشر وفرصهم، بحيث يكونون ويفعلون ما ينشدون بدافع منهم، يجب أن يُعاد النظر فيها في زمن لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية وفي تاريخ الكوكب. ويؤكد هذا الفصل أهمية إعادة تشكيل تدفقات المادة والطاقة بحيث ترتبط الآن هيكلياً بكيفية تنظيمنا الاقتصادات والمجتمعات. وهو يفصّل التحوّلات الجذرية التي ينبغي اجتذابها من الهامش إلى مركز مسيرة التنمية البشرية. ولا يمكن فصل تلك المسيرة عن شبكة الحياة التي نحن جزء منها.

«الأنثروبوسين: عصر البشر. لأول مرة في تاريخنا، تصدر أشد المخاطر وأعتاها، حتى الوجودية، عن الإنسان لتُطبِق على الكوكب بأسره.

يحدد نهج التنمية البشرية إطاراً لتقييم النتائج الإنمائية يستند إلى توسيع الإمكانات، وإتاحة الحريات الميسرة للرفاه، وإفساح المجال للاختيار من الفرص القيّمة. وهذا يأخذنا إلى ما هو أبعد من مفاهيم الاستدامة القائمة على تلبية الاحتياجات، وبعيداً عن التركيز على أهداف تأسيسية مثل النمو الاقتصادي. ويحاجج هذا الفصل بأن نهج التنمية البشرية يدعونا إلى النظر إلى ما هو أبعد من الحاجة المستمرة إلى توسيع الإمكانات. بل إلى النظر إلى البشر كأصحاب ولاية على حياتهم: يتصرّفون ويحققون التغيير، وإلى تقييم إنجازات البشر من حيث ما يعتنقون من قيم وما يسعون إليه من أهداف. في هذا الأفق ومن هذا المنظور، يكمن هدف مسيرة التنمية البشرية وكذلك الوسائل التي يمكن أن توسع نطاق العمل المحتمل لتغيير محركات الضغوط على كوكب الأرض. وضمن مجموعة دوافع السلوك البشري، تتساوى في الأهمية حوافز السوق مع القيم والكرامة والشعور بالقيمة. فالبشر هم أولياء على مصيرهم الفردي والجماعي، وقادرون على دفع عجلة التغيير الاجتماعي.

الأنثروبوسين: عصر البشر. لأول مرة في تاريخنا، تصدر أشد المخاطر وأعتاها، حتى الوجودية، عن الإنسان لتُطبِق على الكوكب بأسره. ويحاجج الفصل بأن هذا الواقع الجديد يستدعي إعادة تصور مسيرة التنمية البشرية والاستفادة من نهج التنمية البشرية لدعم التحوّلات الاجتماعية الجذرية لتخفيف الضغوط عن كوكب الأرض. وستخضع

طبيعة التغيير ومسيرته لتداخل مصالح وقيم مختلفة، تنقض وتعارض، أو تعزّز وتناصر. ويركن هذا التقرير إلى التحليل من منظور التنمية البشرية، لحشد الأدلة واقتراح خيارات فردية وجماعية بشأن كيفية معالجة الاختلالات التي تلمّ بالمجتمع والكوكب على حد سواء. فقبل ثلاثين عاماً، وضع تقرير التنمية البشرية الأول البشر غاية للتنمية. «البشر هم الثروة الحقيقية للأمم»، كما ورد في السطر الأول. وقد حان الوقت للاستفادة من تلك الثروة الحقيقية لتحويل عالمنا، على نحو ما تقول به خطة التنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠.

«البشر، لا الشجر، هم الذين تتعين حماية خياراتهم المستقبلية»، كما أكد تقرير التنمية البشرية الأول، الذي صدر في عام ١٩٩٠[٦]. فوضع التقرير ازدهار البشر كغاية نهائية للتنمية، مؤكداً بأن التنمية ليست مجرد تراكم للموارد المادية أو الطبيعية، بل هي تُعنى بتوسيع إمكانات البشر بحيث يكونون ويفعلون ما ينشدون، وبتوسيع الحريات الميسّرة للرفاه. هذا المنطلق الأساسي للتنمية البشرية هو محور هذا التقرير. ولكن من الضروري إعادة النظر في موضع الإنسان والطبيعة. لأن نبذ الطبيعة جانباً، أو الأسوأ تقديم الخيارات كما لو كانت بين الإنسان والكوكب، يحدّ من آفاق الازدهار أمام الجميع. وكما ورد في تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٤، «الحجة الأقوى لصالح حماية البيئة هي الحاجة الأخلاقية إلى ضمان فرص للأجيال المقبلة تماثل تلك التي تمتع بها من سبقهم. وهذه الضمانة هي أساس 'التنمية المستدامة'«[٧]. ولكن الآثار لم تعد تقتصر على الأجيال المقبلة: فاختلالات الكوكب تضر بالبشر اليوم، فتغذي بعض أوجه عدم المساواة في التنمية البشرية التي تناولها تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠١٩[٨]. وتنعكس أوجه عدم المساواة والاختلالات الاجتماعية صوراً أكثر حدة في اختلالات الكوكب.

Endnotes

1 Morse and others 2018؛ Carroll and others 2012.

2 Berger 2020؛ Cheng and others 2007.

3 من الأسباب فتح مناطق جديدة يمكن فيها للبشر أن يستغلوا الحياة البرية: «يسهّل استغلال الحياة البرية من خلال الصيد والتجارة اتصالاً أقرب بين الحياة البرية والبشر. وتتيح أبحاثنا أدلة متزايدة على أن الاستغلال، كما الأنشطة البشرية التي تسببت في تدهور نوعية موائل الحياة البرية، زادت من فرص التفاعل بين الحيوان والإنسان وسهّلت انتقال الأمراض الحيوانية المصدر» (Johnson and others 2020, p. 1924).

4 للاطلاع على أولى أطر مفهوم الأنثروبوسين، Steffen, Crutzen and McNeill 2007. ويعرض الفصل الثاني الأدلة ويناقش وجهات نظر مختلفة، من علوم النظام الأرضي وعلوم البيئة والجيولوجيا والعلوم الاجتماعية والإنسانية، عن هذا المفهوم.

5 يستخدم مصطلح «التوازن» إقراراً بأن النظام الأرضي مرَّ بأحوال شتى عبر الزمن، وبأن الكوكب ونُظمه الفرعية (بما في ذلك المحيط الحيوي، الذي يضم كل الحياة على الأرض) في تطور دينامي ومستمر. ولذا، لا ينبغي اعتبار أن المقصود بهذا المصطلح هو التقاط مفهوم «لتوازن في الطبيعة» أو دعوة إلى الرجوع إلى حال في الماضي شهدت توازناً منشوداً ما بدرجة أكبر. فالمقصود به هو، ببساطة، إشارة مختصرة إلى تغيّر على صعيد الكوكب فيه خطر على الحياة، بما في ذلك حياة البشر. وهنا نعرب عن امتناننا لفيكتور غالاز من مركز ستوكهولم للمنعة، وإرل س. إليس من جامعة ميريلاند لما قدماه من مساعدة في توضيح هذا المفهوم والمصطلح.

6 UNDP 1990, p. 7.

7 UNDP 1994, p. 13.

8 UNDP 2019c.